الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللّغات

قسم الآداب واللّغة العربية

المقياس: نص أدبي قديم (نثر)/ محاضرة

المستوى: أولى ليسانس

تخصص: دراسات أدبية

المجموعة: 2. الأفواج (6-10)

الأستاذة: مليكة حيمر

الموسم الجامعي: 2022/2021

المحاضرة الأولى: النثر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا:

أستاذة المقياس: د/ مليكة حيمر

تمهيد:

يعدّ الأدب الجاهلي من أقدم الآداب العربية التي وصلتنا، حيث وصلنا منه شعر ونثر مع اختلاف بينهما في الكمّ والكيف، فما وصل من شعر كثير قياسا إلى النثر الذي كان في أغلبه خطبا وأسجاعا غير مكتملة، وبعض المنافرات و المناظرات الأدبية، وأمثال متفرّقة، إذ فما هو النثر، وكيف نشأ في البيئة العربية القديمة؟

أولا- مفهوم النثر:

أ/ اللغة: جاء في لسان العرب لابن منظور" النثر: نثرك الشيء بيدك ترميه به متفرّقا، مثل: نثر الجوز واللوز والسكر، وكذلك نثر الحبّ إذا بذرته".
فالمقصود بالنثر هنا، هو الشيء المبعثر الذي يُرمى دون نظام أو قصد.

ب/ اصطلاحا: النثر هو الكلام الذي لم يُنظّم في أوزان وقوافي.

ثانيا: أضرب (أنواع) النثر:

النثر على ضربين، النثر العادي والنثر الفني.

2-1- النثر العادي: هو الذي يُقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحِكَم.

2-2- النثر الفني: هو النثر الذي يرتفع فيه أصحابه إلى اللغة فيها فنّ ومهارة وبلاغة، وهذا الضرب هو الذي يُعنى النقاد بجمعه ودرسه وبيان ما مرّ به من أحداث وأطوار، وما تمتاز به في كل طور من صفات وخصائص وهو يتفرّع إلى حدوتة كبيرين، هما الخطابة والكتابة الفنية- ويسمّيها بعض الباحثين باسم النثر الفني- وهي تشمل القصص المكتوب كما تشمل الرسائل الأدبية المحبّرة، وقد تتّسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمّقة.

ثالثا: نشأة النثر الفني:

3-1- النثر في عصر ما قبل الإسلام: ارتبط النثر بحياة العرب ليعبّر عن بساطة حياتهم وتجاربهم الحياتية، غير أنه لم يرقَ إلى درجة الشعر،

ومن يرجع إلى العصر الجاهلي وأحيانا نجد أن النثر الفني يلعب دورا مهما في حياة العرب حينئذ، إذ كان عرب الجاهلية مشغوفين بالتاريخ والقصص عن فرسانهم ووقائعهم وملوكهم، يقطعون بذلك أوقات سمرهم في الليل وحول خيامهم.

إن الحديث عن النثر في العصر الجاهلي أمر اختلف فيه لعدم وجود أدلة تثبت ذلك، وهو ما ذهب إليه شوقي ضيف، في قوله: « نحن لا نغلو هذا الغلو الذي جعل بعض المعاصرين يذهبون إلى أن العرب عرفوا الكتابة أو النثر الفني منذ العصر الجاهلي فما تحت أيدينا من وثائق أو نصوص يجعلنا نقف في مرحلة وسطى بين الرأيين، فلا نتأخر بشأن الكتابة الفنية عند العرب إلى العصر الجاهلي بل نضعها في مكانها الصحيح الذي تؤيده المستندات والوثائق، وهو العصر الإسلامي »: فوجود بعض النصوص التي تنسب إلى عصر ما قبل الإسلام من خطب وأمثال وقصص على أهميتها يطعن فيه بعض النقاد مرجحين نسبتها إلى صدر الإسلام.

3- ه- النثر في عصر صدر الإسلام: أحدث ظهور الإسلام تحولا جذريا في حياة العرب، إذ كان للإسلام يد في ازدهار النثر الأدبي خاصة الخطابة والرسائل، إذ أسهمت الخطابة في نشر الدين، وقد كان النبي ص- والخلفاء الراشدين خطباء كبارا، وقد دخل النثر العربي في طور جديد عند ظهور الإسلام، بعد أن تعرضت الحياة الأدبية إلى انقلاب شامل، وتطور بعيد المدى، وكان من مظاهر تطور النثر أوضح منها في الشعر.

تميز النثر في هذا العصر بسمات إسلامية سواء من حيث المعاني أو الأغراض، ففي الخطب مثلا حرص الخطباء على الاستهلال بالبسملة والصلاة على النبي ص- وتضمين آيات من الذكر الحكيم، كما حرص كتاب الرسائل، وكذا الخطباء على تجنب الإكثار من السجع كراهة فيما عرف في العصر الجاهلي بسجع الكهان. لكن النثر بشكل عام ظل وفيا للأغراض المتوارثة من حيث الميل إلى العبارة الموجزة والبعد عن التكلف.

3 - 3 - النثر في العصر العباسي : أصبح النثر في العصر العبّاسي متعدد الفروع، منها : النثر العلمي، النثر الفلسفي، النثر التاريخي، النثر الأدبي الخالص. فقد دعّم الحكّام والولاّت في الدولة العباسية الكتابة، وحثّوا عليها، و فتحوا باب المنافسة بين الأدباء لتطوير قدراتهم لنيل الحظوة والمركز الرفيع. وقد أسهمت الحياة الجديدة التي زخرت بها الدولة العباسية في تطوّر موضوعات النثر ومعانيه.

- أسباب تطوّر النثر في العصر العبّاسي :

وقف وراء هذا التطوّر جملة من الأسباب، أهمها :

1- الاستقرار والرخاء الذي عاشه المجتمع العباسي، وما رافقه من نضج عقليّ انعكس على الدولة ككلّ.

2- تشجيع الخلفاء والأمراء للكتّاب، ودعمهم الماديّ لهم، ما جعلهم يحرصون على تطوير آدابهم والتميّز في كتاباتهم.

3- تولّي الكتّاب مناصب مهمّة في الدولة جعل المنافسة تشتدّ بينهم في تجويد كتاباتهم وتطويرها طمعًا في المنصب أو أملاً في الشهرة.

4- ظهور أجيال جديدة من الكتّاب المثقّفين ممّن جمعوا بين الثقافة العربية الإسلامية، وثقافات أخرى فارسية أو هندية أو يونانية، توفّرت لهم بفعل انتمائهم إلى هذه الثقافات.

5- ظهور المذاهب الكلامية التي تتوسّل الحجاج أداة لنشر مبادئها ما جعلها تحتاج إلى كتابة تناسب تلك الآراء، وتعبّر عنها، وتساعد على الإقناع.

المحاضرة الثانية: الخطابة

المقياس: نص أدبي قديم (نثر)
أستاذة المقياس: د/ مليكة حيمر
المجموعة 2 (الأفواج: 1، 2)

تمهيد:

على الرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدوّن يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة الزمنية، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفهية، وربما هذا سبب قلتها، ومع الرغم من ذلك إلا أن الدارسين المحققين ذكروا من أنواع النثر الفني: القصص، الأمثال، الحكم، المقامات، الخطابة... إلخ.

أولا: تعريف الخطابة:

أ/ اللغة: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أن الخطابة مشتقة من الجذر اللغوي "خطب"، والخَطْبُ: هو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والحال، والخِطْبُ: الذي تخطب المرأة، وهي خِطْبَتُه التي يخطبها، والجمع أخطاب، والخُطْبَةُ عند العرب: الكلام المنثور المسجّع.

ب/ اصطلاحا: عرّفها بعضهم أنها الكلام المؤلف المتضمن وعظا وبلاغا، أما المحدثون فيرون أنها: "فن من فنون الكلام يُقصد به التأثير في الجمهور عن طريق السمع والبصر معا".

ثانيا: أقسام الخطابة:

قسّم مؤرخو الأدب العربي الخطابة إلى 3 أقسام:

- **الخطب السياسية:** تتناول الموضوعات التي تتعلق بتنظيم الجماعة وإقامة الحكم.
- **الخطب الدينية:** وهي الخطب التي تُلقى في المساجد والكنائس معتمدة التأثير على السامعين، وحثهم على الفضيلة، وترك متاع الدنيا.
- **الخطب القضائية:** وهي الخطب التي تُلقى في دور المحاكم، وازدهرت كسائر أنواع الخطب في اليونان، حيث كان الخطباء يدافعون عن موكليهم أمام القضاء.

ثالثا: نشأة الخطابة وتطورها:

أ/ الخطابة الجاهلية: حظيت الخطابة في العصر الجاهلي بعناية واضحة، إذ كانوا يستخدمونها في مناقراتهم ومفاخراتهم، وفي النصح والإرشاد، وفي الحث على قتال الأعداء، وفي الدعوة إلى السلم وحقن الدماء، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة كالزواج والإصهار إلى الأشراف، وقد اتخذ العرب من مجالسهم في مضارب خيامهم ومن أسواقهم ومن ساحات الأمراء ووفاداتهم عليهم ميادين لإظهار براعتهم وتفننهم في المقال وحوك الكلام، واستفتهم في ذلك ملكاتهم البيانية وما فطروا عليه من خلابة ولسن وبيان وفصاحة وحضور بديهة، وكل ذلك عمل على -1- ازدهار الخطابة في الجاهلية

وأن تتناول أغراضًا مختلفة، فقد استخدموها في مناقراتهم ومفاخراتهم بالأحساب والأنساب والمآثر والمناقب، كما قرنوها بالغزل العفيف بين عُلاتة وعامرية الطفيل إلى هَرِم بن قطبة الفزاري. واستخدموها كذلك في الحث على القتال، وبعث الحماسة في نفوس قبائلهم ودفعها إلى ميدان الحرب.

ومن الأدلة على رفعة مكانة الخطيب، قول الجاحظ: «كان الجاحظ أرفع قدرًا من الخطيب، وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثُرَ الشعراء وكثُرَ الشِّعْرُ صار الخطيب أعظم قدرًا من الشاعر».

فوظيفة الخطيب هو الآخر متعددة كما رأينا. وكان للخطباء حينئذٍ سُنَّة خاصة في أداء خطابهم، منها أنهم كانوا يخطبون على رواحلهم في المواسم العظام والمجامع الكبار، وكان من عاداتهم لَوْث العمائم على رؤوسهم والإشارة في أثناء خطاباتهم بالعصيّ والمخاصر والقنا والقضبان، ومن خطباء الجاهلية نجد: هاشم بن عبد مناف، وابنه عبد المطلب، وزهير ابن جناب، وقيس بن خارجة بن سنان، وأكثم بن صيفي، وقُسّ بن ساعدة، وهانئ بن مسعود الشيباني، وغيرهم. ولقد كان لخطباء الجاهلية صفات لا يزال كثير منها موجودًا إلى يومنا هذا، مثل: فصاحة اللسان، وجهارة الصوت...

ب/ الخطابة في عصر صدر الإسلام: كان لمجيء الإسلام أثر كبير في الخطابة، فقد أصبحت أداة يتوسّلها الدعوة الإسلامية لنبذ المعتقدات الجاهلية، وتدعو إلى الإسلام ومبادئه السمحة، كما كان لها دور هام في الجهاد والفتوحات الإسلامية، إذ كان القادة والخطباء يحرّكون بخطبهم مشاعر الجند، ويحثونهم على البسالة في المعركة، فيذكرونهم بالجزاء الذي أعدّه الله للمجاهدين، وقد جعل الإسلام الخطبة أحد شعائره بل أصبحت ركيزة من ركائز خطبة الجمعة، فلا تنعقد صلاة الجمعة إلا بها، ولم تنحصر الخطابة في خطبة الجمعة فحسب، بل تعدّت إلى كثير من المجالات الدينية والاجتماعية والعسكرية والسياسية. وكان النبي ﷺ الخطيب الأول، فهو الداعية والقائد العسكري، والقاضي الذي يبيّن للناس أصول دينهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبلغهم حديثًا.

توسّعت مواضيع الخطابة الإسلامية حسب ما تقتضيه الضرورة والمقام، ومن نماذج خطب الرسول ﷺ: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، فلا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم أعناق بعض، فلا تزالن فيكم ما لم أخذ تم

لن تضلوا كتاب الله وسنتي. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد..."

بالإضافة إلى الخطب الدينية هناك خطب سياسية تُلقى في مناسبات ذات صلة بشؤون الدولة وتسيير أمورها، وخطب حماسية، وهي تلك التي يُلقيها القادة عادة لشحذ الهمم، وتحفيز الجند على القتال، مثل: خطبة طارق بن زياد، ولذا أصبح للخطابة تقليدٌ ومنهج، حيث تبدأ بالبسملة والحمدلة، والصلاة على نبيّنا، وكذلك الابتعاد عن السجع.

ج / الخطابة في العصر الأموي: ازدهرت الخطابة في العصر الأموي، وتنوّعت موضوعاتها، وقد هيّأت لذلك ظروفًا، منها: السياسة والمحافل والدين من جهة، ودعم الدولة من جهة أخرى، هذا بالإضافة إلى أنّ العرب كانت لا تزال سليقتهم اللّغوية سليمة، ولم تفسد ألسنتهم لمجاورة الأمم الأجنبية، وللاختلاط بشعوبها، وكانوا من بلاغة المنطق وحُسن البيان وجودة الإفصاح والإفهام، فقد اتخذت الأحزاب السياسية الخطابة وسيلة لنشر مبادئها، فكان لكل حزب خطباؤه، فقد عبد الله بن الزبير أخطب الزبيريين، أمّا لدى الخوارج، فنذكر: قطري بن الفجاءة ~~[illegible]~~ أمّا الحزب الأموي الحاكم فجعل لكلٍّ من: زياد بن أبيه، والحجّاج بن يوسف الثقفي لسان حاله، والناطق والمدافع عن أغراضه السياسية. كما ازدهرت خطابة المحافل وكذا الخطابة الوعظية والمناقرات، وأشتهر فرسانها: الحسن البصري، واصل بن عطاء، خالد بن صفوان...

د / الخطابة في العصر العباسي: نالت الخطابة في هذا العصر حظّها من النضج والازدهار، بفضل الرقي والتطوّر الذي شهده هذا العصر، غير أنّها ظلّت محتفظة بمقوّماتها من حيث البناء وإحكامه.

استفاد العرب في هذا العصر من الانفتاح على ثقافة الآخر، فترجموا ما كان عند الأمم الأخرى من خطابة وفنونها إلى العربية، فكان كتاب "الخطابة" لأرسطو على رأس تلك الكتب المترجمة.

اشتملت خطب هذا العصر على موضوعات شتى تتناسب مع الظروف التي كُتبت فيها، فنجد خطب الوفود تدور حول الثناء والشكر، والشكوى والاستعطاف والوصف، أمّا الخطابة الدينية فتقوم بصورة عامّة على الوعظ والإرشاد والتذكير، كما ازدهرت الخطابة السياسية في بداية هذا العصر ازدهارًا كبيرًا تأثرًا بالأحداث السياسية، واشتداد الأزمات، ممّا أسهم في ارتفاع

شأن هذا اللون من الخطابة، فقد أدرك العبّاسيون أنّهم استولوا على الحكم بالقوة، فعملوا على إثبات حقّهم في الخلافة، وقد كان الخلفاء العبّاسيون أنفسهم أبرع الخطباء، مثل: أبو العبّاس السفّاح، وأبو جعفر المنصور. لكنّ الخطابة أخذت في الضّعف بعد قضاء العباسيون على الأحزاب السياسية، كما ضعفت الخطابة المحفلية خاصّة بعد استحداث نظام الحجابة في الحكم، إذ لم تعُدْ الوفود تأتي إلى حضور الخلفاء. وفي نهاية العصر العباسي الأوّل أخذت الرسالة المكتوبة تُزاحِمُ الخطابة، و تأخذُ مكانها، إذ أصبح يُنظَرُ إليها على أنّها الأقدرُ على المخاطبة و التعبير. أمّا الخطابة الدّينية فقد ظلّت مزدهرة لمناسبتها لكلّ الظروف.

لم يختلف بناء الخطبة في هذا العصر عنه في عصر بني أُميّة، فهي تتكوّن من مقدّمة يستهلّها الخطيب بعبارات الحمد والتمجيد، ثمّ إذا فرغ الخطيب من المقدمة دخل إلى موضوعه، وغالبًا ما يكون ذلك بعبارات منها: أوصيكم عباد الله بتقوى الله. خاصّة في الخطب الدينية، أمّا بعد أيّها النّاس، أمّا بعد. خاتمة وهي آخر ما يتلقاه السّامع ويعلق بنفسه.

المحاضرة الثالثة: الأمثال والحِكَم

مقياس: النص الأدبي القديم (نثر)

أستاذة المقياس: د/ مليكة حيمر

المجموعة 2 (الأفواج 4-10)

أولاً: المَثَل:

* تعريفه:

أ/ اللغة: المَثَلُ هو كلمةٌ تسْويةٌ، يُقال: مِثْلُهُ ومِثْلُهُ، أي شَبَهُهُ، أي المساواة بين المختلفين في الحِسّ، لأنّ التساوي هو التحافوُ في المِقدار لا يزيد ولا ينقص. أمّا المماثلة فلا تكون إلاّ في المُتّفقَيْن. والمَثَل: هو الشيء الذي يُضْرَبُ بالشيء، فيصيح مَثَلَهُ. يقول ابن فارس: "الميمُ والثاء واللام أصل صحيح يدلّ على مناظرة شيءٍ بشيءٍ، وهذا مثل هذا أي نظيره والمثل كشبهٍ".

ب/ اصطلاحًا: المَثَلُ جُمْلَةٌ من القول مُقتضبة (مُوجزة) تتّسمُ بالقبول وتشتهرُ بالتداول، فتنقل عمّا وردت فيه إلى كلّ ما يصحّ قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعمّا يُوحيه الظاهر إلى أشباهه من المعاني. يكتسب المثل قيمة حسّية بفعل التداول ليُصبح أشبه بالحكم إليه، يستشهد بها النّاس في مواقف مختلفة بغضّ النظر عن موردها ومضربها، تجتمع في المثل أربع خصائص لا تجتمع في غيره، وهي: إيجاز اللّفظ، إصابة المعنى، حُسن التشبيه، جودة الصّياغة.

شاعت الأمثال في كلام العرب، فكانوا يوظّفونها في مختلف المواقف، وضمن أجناس مختلفة، مثل: الخطب والوصايا. يقول الجاحظ: "كان الرّجل من العرب يقف الموقف فيُرسل عدّة أمثال سائرة، ولم يكن النّاس جميعًا ليتمثّلوا بها إلاّ لِما فيها من الموقف والانتفاع".

أرجع الدّارسون بداية التأليف في الأمثال إلى القرن الأوّل الهجري، ويذكرون جملة من الأسماء، منها: أكثم بن صيفي، عامر بن الظّرب... وللمثل مَوْرِدٌ ومضربٌ. المورد: هو الحادثة التي قيل فيها المثل لأوّل مرّة. أمّا المضرب: هو الحالة التي يُستخدم فيها، والتي يكون

لها شبه بحادثة مورد المثل.

* أنواع الأمثال: هناك ثلاثة أنواع من الأمثال العربية:

1- المثل الموجز: وهو أول ما يبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظة المثل، ويدخل فيه الحكم الموجزة التي شاعت حتى أصبحت أمثالاً، مثل: العود أحمد، قد أعذر من أنذر... كما يدخل فيه أبيات الحكمة، كقول الشاعر:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي.

ويدخل في هذا النوع أيضا، الأمثال التي على وزن "أفعل من..." كقولهم: أجودُ من حاتم، أعيا من باقل.

2- المثل القياسي: وهو ذلك السرد الوصفي الذي يستهدف توضيح فكرة أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل، وهذا النوع يكاد يكون منعدما في الأمثال العربية القديمة، ولكنه موجود بكثرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: "مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ". البقرة الآية: 261.

3- المثل الخرافي: وهو تلك الكلمات الموجزة السائدة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان أو بنوها على قصص خرافي شحوه حوله.

* خصائص الأمثال: سادت الأمثال بين الناس، واستعملها الخاصة والعامة في مقامات مختلفة، حيث اتسم المثل بجملة من الخصائص، أهمها:

- الإيجاز: ميزة في اللغة العربية، وتظهر في المثل بشكل مكثف.

- التصوير: وظفت في جل الأمثال العربية استعارات وكنايات وتشبيهات ما زادها جمال لغتها، من ذلك قولهم: إياك أن يضري لسانك عنقك، وقولهم: كالإبرة تكسو الناس وهي عارية.

- الموسيقى: تبرز في الأمثال موسيقى لفظية ناتجة عن الإيقاع الشعري أو السجع، مثل قولهم: تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. وقولهم: تجوع الحرة ولا تأكل بثديها (يضرب هذا المثل في صيانة الرجل الكريم نفسه عن المكاسب الخسيسة). وقولهم: المنية ولا الدنية (الموت الذي).
فإنك تحس جمال الصياغة، وأن صاحب المثل قد يعمد إلى

ضرب من التنغيم الموسيقي للفظ، فإذا هو يسجع فيه أو إذا هو ينظمه شطرًا من بيت.

* وقائل المثل يكون شخصًا مجهولًا، وهذا طبيعي لأن الأمثال تنبعث غالبًا من أناس مجهولين من عامة القبائل، ممن لا يجيدون ولا يجيل بهم التأمل.

- **النزعة الساخرة**: تحتوي بعض الأمثال على نزعة فكاهية ساخرة، مثل ما ورد على لسان بشار بن برد (شاعر عباسي ولد أعمى وكان من فحول الشعراء): (قد ظل من كانت العميان تمدحه). ومثلما ورد عن شخصية حجا، فيقال: مثل مسمار حجا.

- **الواقعية**: تعبر الأمثال عن أحوال الناس الاجتماعية والنفسية، فوردت على ألسنة شرائح متعددة من العامة من رجال فكر وأدباء وولاة.. لذلك فهي حقيقية.

* وقد لخص إبراهيم النظام خصائص المثل في قوله: (يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، وهي إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية، فهو نهاية في البلاغة).

إن بلاغة المثل وشيوعه بين الناس جعلهم يتخذونه أدلة يحتجون بها في مواقف تعبيرية عديدة، لتعبر في مجملها عن ثقافة العرب وقيمهم وأخلاقهم.

ثانيا: الحكم:

1- تعريف الحكمة: الحكمة قول موجز بليغ يحمل في طياته معنى سامية، وخبرة إنسانية عميقة تعبر عن موقف من الحياة ومن الناس، وتشتمل على توجيه وإرشاد إلى ما فيه الصلاح، فهي كالمثل فن شفهي لكنها أقل منه ذيوعًا نظرًا لأن المثل يتصف بالشعبية، كما أن الحكمة ترتبط بمناسبة، وإنما يكفي أن تصدر عن حكيم ومجرب، تتسم الحكمة بالوضوح ومتانة التركيب.

2- أنواع الحكم: تنقسم الحكمة من حيث التعبير إلى نوعين، حكمة شعرية وأخرى نثرية.

- **الحكم الشعرية**: فهي أقوال استحسنت في الشعر فجاءت مبثوثة في ثنايا القصائد، وعرفت الحكمة في العصر الجاهلي عند زهير بن أبي سلمى

وطرفة بن العبد، واستمرت إلى العصر العباسي، لتشهر بها كل من أبي تمام، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، وغيرهم. ومثالها قول النابغة الجعدي:

ألم تعلما أن الملامة نفعها ... قليل إذا ما الشيخ ولى فأدبرا

وقول الأعمى التطيلي (وهو شاعر أندلسي عاش في عصر الطوائف):

ما لبني آدم لا تقضي مطالبه ... يرجو غدا وعسى أن لا يعيش غدا

- الحِكَمُ النثرية: وردت هذه الحِكَم على ألسنة الخاصة، من خلفاء، وأدباء، ومن حِكَم الخلفاء، قول أبي العباس السفاح: «المرأة محمودة إلا عند إمكان الفرصة». ومن أقوال المنصور: «إذا مدّ عدوك إليك يده فاقطعها إن أمكنك وإلا فقبّلها». كما ورد عن المأمون، قوله: «أظلم الناس من يتقرب إلى من يبعده ويتواضع لمن لا يكرمه، ويقبل مدح من لا يعرفه».

* كما تعددت الحِكَم الصادرة عن الأدباء بين البُعد الفلسفي والعالمي ... إلخ ومن أمثلة ذلك ما قاله الخوارزمي: «التقوى هي العُدّة الباقية، والحِلية الواقية».

2-3- الفرق بين المثل والحكمة: تختلف الحكمة عن المثل في أن الحكمة أرقى من الناحية الفنية، بوصفها تصدر عن أشخاص أرقى ثقافة ولغة من سائر أفراد الشعب، كما أن الحكمة أقل دلالة وتعبيرا عن العامة من المثل، لأنها تصدر عن فئة قليلة بعكس المثل الذي يصدر عن عامة الشعب. وتختلف عنه أيضا في أنه ليس له مورد ومضرب.

2-4- خصائص الحكمة: للحكمة عدة خصائص تتميز بها، نذكرها:

- روعة التعبير
- قوة اللفظ
- دقة التشبيه
- سلامة الفكرة مع الإيجاز

ملاحظة: بعض الأمثال والحادثة التي تضرب فيها:

- جزاء سنمار ← يضرب لمن يحسن في عمله فيجازى بالإساءة إليه.

عنوان المحاضرة 4: السرد –حكايات ألف ليلة وليلة–

أولا – في مفهوم السرد: (NARRATIVE)

أ–لغة: السرد في اللغة "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متّسقا بعضه في أثر بعض متتابعا، سردَ الحديث ونحوه يَسْرُدُهُ سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيِّد السيّاق له".

ب–اصطلاحا: هو الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق قناة (الراوي، القصة، المروي له) وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها.

والحكي يرتكز بصفة عامة على ركيزتين أساسيتين؛ أولهما:" أن يحتوي على قصة ما، تضمّ أحداثا معيّنة، وثانيتهما: أن يُعيّن الطريقة التي تُحكى بها تلك القصة. وتسمّى هذه الطريقة سردا، ذلك أنّ قصة واحدة يُمكن أن تُحكى بطرق متعدّدة، ولهذا السبب فإنّ السرد هو الذي يُعتمد عليه في تمييز أنماط الحكي بشكل أساسي"

ثانيا–مفهوم الحكاية والحكاية الشعبية:

الحكاية هي فن من الفنون النثرية تروي أحداث خيالية أو واقعية، ويحكمها أسلوب السرد. وللحكاية شخصيات وزمان ومكان، وعقدة، وحلّ.

– الحكاية الشعبية: عرّفها عبد الحميد بورايو بقوله: " أثر قصصي ينتقل مشافهة أساس يكون نثريا يروي أحداثا خيالية، لا يعتقد راويها ومتلقيها في حدوثها الفعليّ، وتُنسب عادة لبشر، وحيوانات، وكائنات خارقة، تهدف إلى التسلية، وتزجية الوقت والعبرة". فالحكاية الشعبية حسب هذا التعريف موروث سردي يروى مشافهة تناقلته الأجيال، وقد تكون أحداثها خيالية أو واقعية، وأبطالها إمّا بشر وإما حيوانات، أو مخلوقات عجائبية، تهدف إلى التسلية والترويح عن النفس، ولها أبعاد تربوية وتعليمية هادفة.

ثالثا–حكايات ألف ليلة وليلة:

3–1– كتاب ألف ليلة وليلة:

أ/لمحة عن الكتاب:

كتاب ألف ليلة وليلة هو كناية عن مجموعة أساطير وحكايات خرافية، يتضمّن مجموعة من القصص التي وردت في غرب وجنوب آسيا بالإضافة إلى الحكايات الشعبية التي جُمِعت وتُرجمت إلى العربية خلال العصر الذهبي للإسلام.

يعد كتاب ألف ليلة وليلة من الكتب التراثية الهامة في مادة الأدب الشعبي بخاصة، لأنه احتوى بين دفتيه على حكايات شعبية ذات نمط سردي هادفة، لذلك يمكن اعتباره " فيضا لخلفية ثقافية معيّنة ترتبط جذورها ببقايا تراثات أقدم عهدا فهو لم يولد فجأة ولم يكوّن نفسه من لاشيء. ومن هذا السياق فإنّ كتاب ألف ليلة وليلة رسالة شفهية مثقلة بذكريات أجيال قديمة تقدّم هويتها المميزة إلى الأجيال المتأخّرة، التي هي في حالة بحث دائم عنها. وقد وضعت فيه خلاصة تجاربها في الحياة وروت أخبار وقصص شخصيات اعتبرتها متميزة في أفعالها إلى درجة أن حوّلتها إلى شخصيات خارقة أو أسطورية". وهذا مايسم كتاب ألف ليلة وليلة بالطابع الشفهي من خلال اعتماده تقنية القص(الحكي) في سرد مجريات أحداث حكاياته والتي كانت شهر زاد أصدق مثال له لأنها "لن تكتسب نعمة العيش إلاّ إذا استمرّت في القصّ.

والكتاب عبارة عن " حكايات متتابعة مجزأة بحيث يقرأ كلّ جزء منها في ليلة أو في سهرة، وقد تكون أحيانا في بعض سهرة، (...) والذي جاء في مدخل المدونة أنّ ملكين شقيقين هما: **"شهريار وشاه خان"** كانا سعيدين في حياتهما وعادلين في مملكتيهما، لكن سعادتهما لم تدم، إذ اكتشف شهريار تلك العلاقة الآثمة التي أقامتها زوجته مع رجل من عبيده، فقرّر أن يقتلها وينتقم من جنس النساء جميعا، فقرر أن يتزوج كل يوم من عذراء يقضي معها ليلة واحدة ثم يقتلها قبل أن يطلع عليه صباح يوم الغد. فخاف النّاس على بناتهم، ففروا كلّ واحد على اتجاه معيّن خوفا من هذا الملك المتأزم الحاذق، ولم يستمر هذا طويلا، إذ بعث الله عزّ وجلّ لهذا الملك ابنة وزير تدعى "شهر زاد" كانت راجحة العقل عظيمة الدراية، وقارئة لكتب التاريخ وسير المتقدمين وأخبار الماضين. تزوجت شهر زاد الملك، وتبدأ معها قصّة الليالي، فأخذت تقصّ عليه كلّ ليلة حكاية بأسلوب مثير ومشوّق وتنتهي القصة مُعلّقة إلى ليلة أخرى"

ب/ أصل الكتاب: خضع كتاب ألف ليلة وليلة في مسيرته إلى عدّة ثقافات فبعد أن كان متداولا بين أوساط الشعوب العامة التي أشبعته بحكاياتها الخرافية، ترجم إلى اللغة الفرنسية ومن ثمّ أعيد ترتيب حكاياته وجمعها، ثمّ انتشر هذا الكتاب في ربوع العالم وظهرت له ترجمات عربية وأجنبية، غير أنّ المرجح أنّ أصل الكتاب ينحدر من أصول فارسية/ هندية ثمّ ترجم إلى العربية ، ثمّ " حاول الجهشياري أن يؤلّف مثله وربّما استعان بالقصة الإطار نفسها لكنه استعمل حكايات وأساطير مختلفة عن الحكايات الفارسية الأصلية". وليس لهذا الكتاب كاتب وهو

مختلف الأصول من هندي وفارسي ويوناني وعربي، وهذه الثقافات نابغة من الشعوب الشرقية والحضارات العامة القديمة

ثالثا– حكايات ألف ليلة وليلة:

ما هو شائع في جميع النُّسخ الخاصة بالليالي هي البادئة، القصة الإطارية عن الحاكم شهريار وزوجته شهرزاد، التي أدرجت في جميع الحكايات. حيث أن القصص تنطلق أساساً من هذه القصة، وبعض القصص مؤطرة داخل حكايات أخرى، في حين تبدأ أخرى وتنتهي من تلقاء نفسها. الجزء الأكبر من النص هو بأسلوب النثر، على الرغم من استخدام أسلوب الشعر أحياناً للتعبير عن العاطفة المتزايدة، وأحياناً تستخدم الأغاني والألغاز. معظم القصائد هي مقاطع مفردة أو رباعيّة، كما أن بعضها يكون أطول من ذلك.

هناك بعض القصص المشهورة التي تحتويها ألف ليلة وليلة، مثل "علاء الدين والمصباح السحري"، و"علي بابا والأربعون لصاً"، و"رحلات السندباد البحري السبع".

خامسا–طريقة تصنيف الحكايات:

بُني كتاب ألف ليلة وليلة في عرض حكاياته على طريقة مخصوصة، تبدأ بالقصة الإطارية، وضمنها القصة الفرعية، تتألّف حكايات «ألف ليلة وليلة» من القصة الإطارية، والحكايات الفرعية التي تولدت عنها. فالقصة الإطارية الأساسية تدور حول ملك يدعى شهريار الذي قرر أن يتزوج امرأة كل ليلة ثم يقتلها مع بزوغ الفجر وذلك بعد أن عملت زوجته على خيانته، وظل على هذه الحال إلى أن تزوج من شهرزاد ابنة الوزير التي أخذت تروي له حكايات في كل ليلة طمعاً في أن يبقي على حياتها. هناك عدد من الحكايات التي بدورها تتضمن حكايات أخرى، وبالتالي فهي تكون على شكل قصة إطارية للحكايات الضمنية، ويلاحظ بأن القصة الإطارية عبارة عن حكاية بسيطة تتضمّن القليل من الأحداث والشخصيات، وهذا التركيب البسيط هو الذي جعلها تتصف بميزة القدرة على احتواء حكايات كثيرة فيها. أمّا الحكايات الفرعية فهي التي روتها شهرزاد عن رواة آخرين، وهي حكايات عديدة ومتنوعة.

سادسا– خصائص حكايات ألف ليلة وليلة:

تميّزت حكايات ألف ليلة وليلة بجملة من الخصائص، نذكر منها:

-ترابط الحكايات وتسلسلها بسببية محكمة

- غلبة الطّابع العجائبي

- لا تتقيّد حكايات الكتاب بالحقائق كما يُسجّلها التاريخ، ولا تتحرّى الأماكن والمواقع كما تذكرها الجغرافية، فقد تستعمل شخصيات تاريخية في غير زمانها لتضفي على الأحداث المخترعة صفة التشويق واليقين.

-الاستطراد في كثير من الحكايات يتّخذ شكل التفريع وتراكم الحوادث وتركيبها.

- الرمز في ألف ليلة وليلة ظاهرة ذات غاية عظمى، فجلّ الحكايات لها دلالات أخرى خفية غير ظاهرة، وقابلة لتوليد دلالات جديدة بحسب طبيعة المتلقي.

- أثر المرأة في توجيه سلوك الزوج، فالملك شهريار يتقلّب من العدل والمحبّة إلى الدموية والقتل، ثمّ يعود من جديد إلى سابق عهده من أمان وطمأنينة.

عنوان المحاضرة5 : الحكاية على لسان الحيوان –كليلة ودمنة–

أوّلا– مفهوم الحكاية الخرافية (الحكاية على لسان الحيوان):

تعدّ الحكاية على لسان الحيوان من الحكايات الخرافية؛ لأنّ أبطالها وشخوصها من عالم الخيال، وتصرفاتهم وأفعالهم خارقة تفوق قدرة البشر، وهذا ما يسمها بالطابع الأسطوري.

أ/ الخرافة لغة: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور، وفي القاموس المحيط للفيروز أبادي أنّ الخرافة من الفعل "خَرف" والخَرَفُ بالتحريك فساد العقل من الكبر.

ب/ الخرافة اصطلاحا: تعد الخرافة من الأنواع القصصية التي يغلب عليها الطابع الخيالي والأسطوري، فهي "في الأصل تجربة وقعت لبطل، وبعد سلسلة من المغامرات والمخاطرات، تلعب فيها الخوارق دورا بارزا، تترجم هذا الدور من خلال حركية الجنّ والعفاريت والغول والشيطان والمغامرات والوديان والحيوان المفترس منه والأليف الصديق والمساعد للبطل والوحش المعاكس للبطل". والخرافة " عبارة عن حكاية حيوان تستهدف غاية أخلاقية، وهي قصيرة تقوم بأحداثها حيوانات كالأناسي وتحفظ مع ذلك سماتها الحيوانية".

ثانيا–ظهور الحكاية الخرافية وموطنها: ارتبطت الحكاية الخرافية في ظهورها " بظهور الإنسان على سطح الأرض، فهي قديمة قدم الإنسان ولا زالت تحتفظ ببعض البصمات من هذا العهد القديم المرتبط بحياة الإنسان البدائي ومعتقداته وفلسفته الحياتية في علاقتها مع المحيط والطبيعة والحيوان" .يعني هذا أنّ الحكاية الخرافية قديمة في نشأتها فقد ارتبطت بالإنسان منذ القدم، وهي نمط ذائع عند كلّ شعوب العالم. ويرى " بنفي تيودور أنّ الموطن الأصلي للحكايات الخرافية جميعها فيما عادا الفابولات التي اتّخذت من بلاد الإغريق موطنا لها هو لاد الهند، هذه الحكايات الخرافية كانت في الأصل حكايات بوذية تحكى لأغراض تعليمية، ثمّ انتشرت في أووبا في شكل روايات مدوّنة قبل كلّ شيء، إمّا بواسطة العرب عن طريق البزنطيين وإمّا في شكل روايات شفوية مباشرة عن طريق المغول وشعوب شرق أوروربا".

ثالثا– أقسام حكاية الحيوان: تنقسم قصص الحيوان إلى قسمين أساسيين؛ حكاية الحيوان الشارحة (التعليلية)، حكاية الحيوان الرمزية (التعليمية).

أ/ **حكاية الحيوان الشارحة (التعليمية):** وهي القصص المحافظة على صفاتها الحيوانية، تحال شرح وتعليل طباعها، فهي قصص تعليمية علمية في أحيان أخرى غالبا ما تدخل في إطار أدب الأطفال، تكون مجهولة المؤلف، وقد يكون الحيوان هو البطل، كما قد يكون النبات.

ب/ حكاية الحيوان الرمزية: وهي قصص الحيوانات المتقمصة لشخصية الإنسان تأخذ الطّابع الرمزي التعليمي في التعبير عن قضايا اجتماعية وأخلاقية تربوية في الوسط البشري الاجتماعي.

رابعا–هدف حكايات كليلة ودمنة: تسعى حكايات كليلة ودمنة إلى ضبط حدود العلاقات داخل المجتمع الواحد وما يميّزها من علاقات القوّة أو الضعف كعلاقة الحاكم برعيته وغيرها من النماذج، كإبراز الطبقات الاجتماعية وعرض الواقع الاجتماعي والسياسي وتحديد المسائل الأخلاقية بإرساء قواعد السلوك والتعامل والقيّم التي يجب أن يتحلّى بها الفرد ويكتسبها ليستطيع العيش في جماعة.

خامسا– سبب تأليف كتاب كليلة ودمنة:

كتاب كليلة ودمنة من الكتب التراثية الهامة التي ألّفت في التوجيه والإصلاح بأسلوب الحكي على ألسنة الحيوانات بغية الترويح والتسلية من جهة، وتقويم الإعوجاج ورتق الفتق ورأب الصدع من جهة أخرى، وذلك بتقويم سلوك الملك الهندي دبشليم نتيجة ظلمه وتجبّره، بحيث لقي الناس منه سوء المعاملة والتصرّف، فأشار عليهم حكيم من البراهمة يدعى "بيدبا" بأن يذهب إلى الملك دبشليم ويحاول أن يقوّم سلوكه بوساطة القص على ألسنة الحيوانات ولقي بيدبا صعوبات في ذلك من قبل الملك غير أنّ هذا الأخير قرّر أن يستمع لبيدبا. فكان تأليف تلك الحكاية برغبة من الملك "دبشليم في حدّ ذاته.

خامسا– أصل الكتاب وترجماته:

يرجع أصل كتاب كليلة ودمنة إلى الثقافة الهندية وضع أصله الفيلسوف الهندي "بيدبا" للملك "دبشليم" وقد قام ابن المقفع بترجمته من اللغة الفهلوية الفارسية القديمة بعد نقله من الهندية إليها ، يقول ابن المقفع في مقدمته: **" هذا كتاب كليلة ودمنة، وهو ممّا وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي التمسوا بها أبلغ ما يجدون من القول في النحو الذي أرادوا، ولم يزل العقلاء من أهل كلّ زمان يلتمسون أن يُعقل عنهم، ويحتالون ذلك بصنوف الحيّل، ويطلبون إخراج ما عندهم من العلل، فدعاهم ذلك إلى أن وضعوا هذا الكتاب، ولخّصوا فيه من بليغ الكلام ومُتقنه على أفواه الطّير والبهائم والسباع".**

سادسا–أقسام الكتاب:

يضمّ كتاب كليلة ودمنة بين دفتيه خمسة عشر بابا بعد المقدمات الأولى، وهي: "مقدمة علي بن شاه الفارسي" و باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند، وباب عرض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفع، باب برزويه الطبيب، وقد قسّم بيدبا الكتاب إلى خمسة عشر بابا هي: باب الأسد والثور، باب الفحص عن أمر دمنة، باب الحمامة المطوقة، باب البوم والغربان، باب القرد والغيلم، باب الناسك وابن عرس، باب إبلاد وإيراخت وشادرم ملك الهند، باب

مهرايز ملك الجرذان، باب السِّنَّور والجرذ، باب الملك والطّير قبرة، باب الأسد وابن آوى، باب السائح والصواغ، باب ابن الملك وأصحابه، باب اللبؤة والشعهرة، باب الناسك والضيف .

سابعا– وظائف حكايات كليلة ودمنة:

تعدّدت وظائف حكايات كليلة ودمنة بتعدّد الغايات والمرامي، ومن تلك الوظائف نجد:

أ/ الوظيفة السياسية: عملت حكايات كليلة ودمنة في مضمونها على نقد الحكم السياسي السائد آنذاك، والثورة على السلطة والحاكم وتقويم سلوكه اتجاه الرعية

ب/ الوظيفة الاجتماعية: عملت حكايات كليلة ودمنة على إبراز الحياة الاجتماعية في فترة الحكم الفاسد في البلاد العربية، كما عرضت فكرة الطبقية ومثّلتها أحسن تمثيل.

ج/ الوظيفة التربوية: وهذه هي غاية الحكايات؛ فقد عملت هذه الأخيرة على توجيه النقد اللاذع للسلطة والحكّام ، والتربية والتعليم بطريقة مسلية على ألسنة الحيوانات.

ثامنا– خصائص حكايات كليلة ودمنة: تميّزت حكايات كليلة ودمنة بجملة من الخصائص نذكر منها:

- تخطّيها حدود الزمان والمكان في السرد وفي عرض أحداثها
- أبطالها من الحيوانات
- أنسنة الحيوانات وجعلها كالإنسان تتكلّم وتعي وتشعر ...إلخ.
- غلبة الطّابع الرمزي على الحكايات؛ فهي قصص هادفة، تعليمية وتربوية
- ذات قدرة على التغلغل في ذات المتلقي والتأثير فيه
- تستفتح عادة بمثل، ثمّ يعمل راويها على توضيح ذلك المثل عن طريق الحكي.

عنوان المحاضرة: المقامات

أوّلا– تعريف المقامة:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ المِقامة بالفتح هي: " المجلس والجماعة من النّاس"· بمعنى أنّ المقامة تروى في مجلس أو على مجموعة من النّاس.

ب/ اصطلاحا:

المقامات "حكايات قصيرة تشتمل كلّ واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالبا أكثر من مقامة (جلسة) وتنتهي بعظة أو مُلْحَة. ولحُسن الديباجة وأناقة الأسلوب فيها المحل الأوّل " . أمّا الدكتور عمر فروخ يعرّف المقامة بقوله: "المَقَامَةُ قصّة وجيزةٌ أو حكاية قصيرة مبنية على الكُدية (الاستعطاء)"

يتبيّن من خلال هذه التعريفات أنّ المقامة من الأشكال القصصية القصيرة التي تقال في مجلس، وتحوي بين دفّتيها أفكارا أدبية وقيما اجتماعية بأسلوب فكاهي محبب إلى النفوس. وتعتمد الكُدية (التسول وطلب الاستعطاء) أساسا لها.

ثانيا– نشأة فنّ المقامة:

نشأ فنّ المقامة كفنّ أدبي قائم بذاته في القرن الرابع للهجرة على يد بديع الزمان الهمذاني الذي يعتبر أوّل من أجاد هذا النوع من الكتابات وأرسى قواعده، غير أنّ بعض الدّارسين والنقاد ومؤرخو الأدب يعتقدون أنّ بديع الزمان الهمذاني لم يكن مبتكرا فنّ المقامات، وإنّما ابتكره ابن دريد عندما كتب الأربعين حديثا لكن بعد الدراسة والبحث تبيّن أنّ الهمذاني عارض ابن دريد وحاكاه، لكن ابن دريد سمّى قصصه أحاديث في حين أنّ بديع الزمان سمّى قصصه مقامات. ولا ريب " في أنّ بين أحاديث ابن دريد وبين المقامات شَبَهًا قويّا من حيث القصص والسجع، ولكنّ هناك أيضا فُروقًا كبيرة في الصناعة وفي العقدة وفي وجود بطل للمقامات هو المكدي، وفي انبناء المقامة على الكُدية وعلى الهزء من عقول الجماعات مع إظهار المقدرة في فنون العلم والأدب".

وإن كان ابن دريد هو المبتكر الأوّل لفن المقامات إلى أنّ الفضل في إرساء قواعد هذا الفنّ يرجع إلى بديع الزمان الهمذاني. فهو "مُنشئ هذا الفن في اللغة العربية، ولم تُسَمَّ تلك القصص بعد ذلك أحاديث كما سمّاها ابن دريد، وإنّما سُمّيت مقامات كما سمّاها بديع الزمان" وكانت مقامات بديع الزمان " النموذج الأمثل لمن كتبوا المقامات بعده، سواء المتقدّمون منهم أو المتأخّرون. فقد حاكاه الحريري في مقاماته، وخطى إثره، وانتهج نهجه.

ثالثا– عناصر المقامة: للمقامة ثلاثة عناصر، هي:

1- راوية ينقلها عن مجلس تحدث فيه
2- مُكدٍ (بطل) تدور القصّة حوله وتنتهي بانتصاره في كلّ مرّة
3- مُلحة (نُكتة، عُقدة) تُحاك حولها المقامة؛ وقد تكون هذه الملحة بعيدة عن الأخلاق الكريمة وأحيانا تكون غثّة أو سمحة. وتُبنى المقامة على الإغراق في الصناعة اللفظية خاصّة والصناعة المعنوية عامّة.

رابعا– خصائص المقامات: اتسّمت المقامات بعدّة سمات وخصائص ميّزتها عن غيرها من الأشكال السردية الأخرى، ويمكن حصرها في الآتي:

-**المجلس:** بمعنى أنّ المقامة يجب أن تدور في مجلس واحد لا تتجاوزه إلى غيره.

–الراوية: لكلّ مقامة راوية واحد ينقلها عن المجلس الذي تدور فيه، مثل عيسى بن هشام في مقامات الهمذاني.

– المكدي: لكلّ مقامة مكد واحد، بمعنى بطل واحد تدور أحداث المقامة حوله، ويمتاز هذا البطل بالحنكة والحيلة والدهاء والذكاء من أجل الحصول على المال أو الطعام، ذَرِبُ اللسان ذو مقدرة في العلم والأدب والدين، وهو شاعر وخطيب، يتظاهر بالتقوى ويُظمرُ المجون، ويتظاهر بالجدّ ويُضمر الهزل، وغالبا ما يكون في المقامة متنكّرا لدرجة أنّ الراوية لا يتفطّن إليه.ولا يكشف المكدي أمره إلاّ بعد أن يكون قد نال من أهل المجلس مالا أو ثيابا، بعد أن استدرّ عطفهم.

– المُلحة (النُكتة أو العقدة): وهي الفكرة التي تدور حولها القصّة المتضمّنة في المقامة.

– القصّة نفسها: كلّ مقامة عبارة وحدة قصصية قائمة بنفسها، ولا علاقة لمقامة بمقامة أخرى على الرغم من أنّ الراوي واحد والمكدّي واحد، فلكلّ مقامة أحداثها الخاصّة بها.

– **موضوع المقامة:** تختلف موضوعات المقامة، فمنها ماهو أدبي، ومنها ما هو فقهي، ومنها فكاهي، وحماسي، ومنها خمري أو مجوني. وهذه الموضوعات تتوالى على غير ترتيب مخصوص عند بديع الزمان الهمذاني. أمّا الحريري فيما بعد فالتزم أن تكون الموضوعات مُتعاقبة على نسق مخصوص، وقد تكون المقامة طويلة أو قصيرة.

– اسم المقامة: اسم المقامة مأخوذ عادة من اسم البلد الذي انعقد فيه مجلس المقامة، نحو: المقامة الدمشقية، الرَملية (نسبة إلى الرملة بفلسطين)، الكوفية، البغدادية...

– **شخصية المقامة:** إنّ الشخصية التي تبدو في المقامة ليست شخصية المكدي ولكنها شخصية المؤلف، وتنبني هذه الشخصية على الدراية الواسعة بكلّ شيء يطرقه المكدي، أو المؤلّف على الأصحّ، فهو واسع الاطّلاع على العلوم العربية خاصّة، بصير بالفنون الأدبية من شعر ونثر وخطابة، حاد الذهن قوي الملاحظة في حلّ الألغاز وكشف الشبهات، مَرِح طَرُوب في اجتياز العقبات وسلوك المصاعب.

– **الصناعة في المقامات:** تتميّز المقامات بالصناعة والتأنق اللفظي (وخصوصا عند الحريري)، فهناك إغراق في السجع وإغراق في البديع من جناس وطباق، وإغراق في المقابلة والموازنة وفي سائر أوجه البلاغة.

– **الشِّعر:** المقامة قصّة نثرية ولكن قد يتخلّلها شعر قليل أو كثير من نظم صاحبها على لسان المكدي أيضا، أو من نظم بعض الشّعراء، فيما يُروى، على لسان المكدي أيضا، وقد يكون إيراد الشِّعر لإظهار المقدرة في النظم أو لإظهار البراعة في البديع (عند الحريري خاصّة).

كما تمتاز المقامة، أيضا، **بالسّرد والحوار، والأسلوب الحكائي، والوصف** الذي يلعب دورا بارزا في وصف المكان، والزمان، والشخوص التي يصفها تارة من الخارج، وتارة من الداخل.

عنوان المحاضرة8 : الرسائل الديوانية والإخوانية في المشرق والأندلس والمغرب

أوّلا– مفهوم الرّسالة:

أ/ لغة: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أنّ "الترسُّلَ كالرِّسْلُ، والترَّسُّلُ في القراءة والترسيلُ واحد؛ قال وهو التحقيق بلا عجلة، وقيل بعضه على أثر بعض، وتَرسَّل في قراءته اتَّأد فيها. وفي الحديث كان في كلامه ترسيل أي ترتيلٌ، يقال: ترسَّلَ الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل" . فالترسل بمعنى تتابع الشيء وانسجامه في تأنٍ. والترسّلُ " من تَرَسَّلتُ أَتَرَسَّلُ تَرَسُّلاً وأنا مُتَرَسِّل... أرسلَ يُرْسل إرسالا وهو مُرْسِل، والاسم الرِّسالة، أو راسل يُراسل مُراسلةً فهو مُراسل، وذلك إذا كان هو ومن يُراسله قد اشتركا في المراسلة، وأصل الاشتقاق في ذلك أنّه كلام يُرَاسل به مَنْ بَعُدَ أو غاب، فاشتقَّ له اسم الترسُّل، والرسالة من ذلك". يبدو أنّ الترسّل حسب قدامه يشترط فيه اشتراك شخصين، وبُعد المسافة بينهما.

ب/ اصطلاحا: وردت تعريفات عدّة للرسالة، نظرا لأهميتها كفن نثري، وقد خصّص لها القلقشندي مؤلفا ضخما موسوما بـ "صبح الأعشى " . ويعرّفها في قوله:" الرّسائلُ وهي جمع رِسالةٍ، والمراد فيها أمور يُرتِّبها الكاتبُ، من حكاية حال من عَدُوٍّ أو صيد، أو مدح وتقريضٍ، أو مُفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك ممّا يجري هذا المجرى، وسُمّيت رسائِلَ من حيث إنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب بها إلى غيره مُخبرا فيها بصورة الحال، مُفتتحةً بما تُفتتحُ به المكاتباتُ، ثمّ توسّع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها.

ثانيا– نشأة الرّسالة:

عرفت الرسالة تطوّرا منذ ظهورها كفن أدبي، إلاّ أنّه ليس "بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدلّ على أنّ الجاهليين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها، وليس معنى ذلك أنّهم لم يعرفوا الكتابة، فقد عرفوها، غير أنّ صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشّعرية والنثرية، ومن ثمّ استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية"، وكان يُراد بالرسالة في ذلك العصر " ما يؤدِّيه الرسول إلى المرسَل عن طريق رواية الخبر أو الإبلاغ الشَّفهي". واستمرّ هذا المدلول الشّفهي للرسالة حتّى مطلع العصر النبوي، وقد ورد هذا المصطلح في القرآن الكريم في مواضع عديدة يدل على الإبلاغ الشفهي للخبر، كقوله تعالى: ﴿**فَتَولَّى عَنْهُمْ وقَالَ يا قَومِ لَقد أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلكن لا تُحِبُّونَ النَّاصحينَ**﴾. وهذا يدلّ على أنّ الرّسالة في العصر الجاهلي وإلى عصر النبوة استعملت بمعنى نقل الخبر وتبليغه. وبما أنّ هدف الرسول الأوّل هو نشر الإسلام، فقد نشطت الرسائل نشاطا كبيرا. أمّا إذا انتقلنا إلى العصر الأموي نجد أنّ الكتابة " ارتقت رقيّا عظيما، فقد جدّ كثير من المشكلات، وتعقدت الحياة من جميع أطرافها المادية والسياسية والعقلية، إذ تحضّر العرب، وأخذوا يستعيرون كثيرا

من النظم الأجنبية ومواد الثقافات لدى الأمم المفتوحة".وقد ظهرت فنون نثرية كثيرة من أهمها فني الخطابة والرسالة، فقد كانت " هناك رسائل سياسية تصدر عن دواوين الخلفاء والولاّة أو عن خصومهم، ورسائل إجتماعية يتبادلها النّاس في أمور حياتهم الشخصية ورسائل دينية، منها ما يأخذ شكل الموعظة، ومنها ما يأخذ شكل الحوار والجدل، حين يتعرّض شخص للردّ على صاحب نحلة من النحل". وقد نشطت الرسائل السياسية في هذا العصر نشاطا بارزا، ونهضت نهضة واسعة.

أمّا في العصر العباسي الذي يعدّ العصر الذهبي للثقافات والعلوم ازدهرت فيه كتابة الرسائل نظرا لكثرة الدواوين وتنوعها، وكانت الدواوين في سامرّاء وبغداد لذلك أشبه بمدرسة فنية كبيرة، يَفِدُ عليه الشّبابُ، ويُختبرون اختبارا دقيقا، فمن نجح في الاختبار وُظِّفَ فيها، ولزم غيره من الكتّاب القدماء وعمل بين أيديهم، ويُدبّج بعض الرسائل، فإذا نالت رسالة حُظوة من رئيس الديوان تمَّ له سَعْده، وربّما ألحقوه ببعض الولاّة أو العمال". وهذا كان سببا في ظهور الرسالة الديوانية بخاصة، وإلى جانب الرسالة الديوانية ظهرت الرسالة الإخوانية أيضا.

ثالثا– الرسالة الديوانية:

وهي الرسائل المرتبطة بديوان الملك وتحت رعايته وبأمر منه، ذات طابع رسمي تتناول " جميع شؤون الدولة من منشورات تتصل بأهل الذمّة أو الرعية ومن ولاية عهود أو بيعة لخليفة أو خلع أو دعوة إلى الجهاد في سبيل الله أو تولية وزير أو والٍ أو تنويه بموسم حجّ أو عيد أو أخبار الولايات أو أمر بمعاقبة بعض الجناة، وتفنّنوا في المقدمات وخاصّة في التحميدات وما اتّصل منها برسالة الخميس التي كانت تُكتب إلى الولايات حين يستولي خليفة على مقاليد الحكم". وسميّت بالرسائل الديوانية لأنّ الديوان هو مصدرها وموردها.

3–1– موضوعاتها: لما كانت الرسائل الديوانية مرتبطة ارتباطا وثيقا بشؤون الدولة ونظمها، فقد تنوّعت "مضامينها باتّساع نفوذها الجغرافي، فتناولت قضايا مختلفة كموضوع التولية، والترقية والتعزية والتوصية، والأخبار بالانتصارات والهزائم، ومُخاطبة الولاّة والقضاة والعامة الموصية، والملوك والخلفاء معاهدة أو مهدّدة" .هذا فيما يخصّ الرسائل الديوانية في المشرق.

أمّا في الأندلس فقد مثّلت الرسالة الديوانية الركن الأساس في النثر الديواني، وقد عرف القرن الثامن هذا اللون النثري بغزارة كبيرة ولكن هذه الغزارة تعود إلى ابن الخطيب الذي يعدّ صاحب فضلين عليها، وعلى غيرها من ألوان النثر والشعر: الأول هو أنه كان أكثر الكتّاب إبداعا للرسالة الديوانية، والثاني أنه حفظها من التلف؛ فقد جمع كتابه " ريحانة الكتاب " جلّ رسائله، فحظيت الديوانية، مثلا، بكامل الجزء الأول منه، وأخذت حيّزا معتبرا من الجزء الثاني. وبالتالي تكون الرسالة الديوانية مضت أشواطا بعيدة في ترسم الخطى التي هيأتها لها

السياسة، وأصحابها. ولا شك في أن ابن الخطيب وسلطانه كانا من أكثر المفسدين في هذا المجال، إذ سجلت الرسالة الأندلسية خاصة مثل هذه المفارقات الكبيرة، فناصرت فريقا على فريق لا لسبب إلا لكونه أضحى الفريق الأقوى.

وتنوّعت هي الأخرى موضوعاتها؛ فتناولت العلاقات الأندلسية والمشرقية، وبعض الأحداث التاريخية الأندلسية، كحادثة مقتل السلطان أبي الحجّاج من العرش النصري في غرناطة، كما تناولت الجهاد والغزو بالأندلس، والعلاقات السياسية بين المسلمين والنصارى، وغيرها...

3-2- خصائصها:

كانت الرسائل الديوانية في بدايتها خالية من المبالغات والخيال والتنميق اللفظي غير أنّه لما أفتن الكتّاب في أساليبها، واستبقوا في تجويدها لعب الخيال دوره وازدانت بالمحسنات، وصارت مجالا فسيحا لأفانين البلاغة، وتفصيح الكتّاب.

رابعا- الرسالة الإخوانية:

يطلق عليها كذلك اسم الرسائل الشخصية أو الإخوانية، وتبرز فيها مشاعر صاحبها وعواطفه، وهي الرَّسائل التي تجري بين شخصين أو أديبين في شؤون لا تتعلّق بالدولة أو الحكم أو بقضايا رسمية، وإنّما هي رسائل شخصية، وتشمل كلّ ما كان يجري من المكاتبات الشّخصية بين اثنين أو أكثر من إخوان الأدب، وتوصف بأنّها مُخاطبة الغائب بلسان القلم، وقد شاعت هذه الرّسائل في العصر العبّاسي الأوّل، واتّخذها " الأدباء لتصوير عواطفهم ومشاعرهم في الخوف والرجاء والرهبة والرغبة والمديح والهجاء والتهاني والعتاب والاعتذار والاستعطاف والتعزية والاستمناح". وشاعت هذه الرسائل في بداية العصر العباسي الأوّل، وقد اشتهر الكثير ممّن يكتبونها، مِنْ أمثال عبد الله بن المقفّع، ومحمد بن زياد الحارثي، والجاحظ، وأحمد بن يوسف، وعبد الله بن المعتز، وأبو العيناء، وبِشْر البلوي، وغيرهم من الكتَّاب المتميّزين الذين تطوّرت هذه الرّسائل على أيديهم، لأنّهم نوّعوا في موضوعاتها وتوسّعوا فيها، واهتمّوا بتنميقها وإيداعها ضُروبا من البيان والفصاحة.

4-1- أنواعها وموضوعاتها:

تعدّدت أنواع الرسالة الإخوانية، حيث حصرها القلقشندي في سبعة عشر نوعا، كالآتي:

التهاني، التعازي، التهادي والملاطفة، الشفاعات والعنايات، التشوق، الاستزارة، المودة، خطبة النساء، الاسترضاء والاستعطاف والاعتذار، الشكوى استماحة الحوائج، الشكر، العتاب، عيادة المريض والسؤال عن حاله، الذم، الاخبار، المداعبة.

4-2- أغراضها: كانت الرسائل الإخوانية " تدور على أغراض وُجدانية خاصّة بالمتراسلين من العِتاب والتشوّق واللّوم والشّكر واسْتنجاز وَعْدٍ وطلب معروف، على أنّها قد تتناول أحيانا بحثا أدبيّا أو جَدَلاً نظريّا أو نقدا اجتماعيّا أو نُصحا شخصيّا".

4-3- خصائصها:

تميّزت الرسائل الإخوانية بعدّة خصائص، منها: العناية باصطناع الصور البيانية وبعض ألوان البديع، تصاغ صياغة أنيقة مُثقلة أحيانا بأوجه البلاغة: من موازنة وسجع واستعارات وتوريات، مع ميْل ظاهر إلى التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن الأمثال والأشعار والأقوال، ممّا يدلّ على مقدرةٍ لُغويّةٍ وبراعة أدبيّة وإحاطة بعددٍ من وجوه المعرفة.

أمّا في الأندلس فقد اتجهت الرسائل الإخوانية بقوة نحو السلطان وحاشيته كذلك، تقرّبا وزلفى، مرة بصورة مباشرة، وأحيانا في ثنايا موضوع من المواضيع التي تناولتها الرسائل كالتهنئة والتعزية والشوق. ولكن الرغبة في الالتحاق بالحضرة أو نيل الحظوة لديها كانا السبيل التي سعى إليها جُلّ الكُتّاب في ذلك العصر، ومن موضوعاتها؛ رسائل التهنئة والشكر، رسائل التعزية، رسائل الشفاعة، رسائل الشوق والمحبة، رسائل المداعبة، رسائل التهنئة.